

الكشاف

فإن قلت : كيف قيل لهم " هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده " وهم غير معترفين بالإعادة ؟ قلت : قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابرا ردا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه A : " قل ابدؤا الخلق ثم يعيده " فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنه لا يدعهم لجاحهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمه الحق فكلم عنهم . يقال : هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين : ويقال : هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال : شرى بمعنى اشترى . ومنه قوله : " أفمن لا يهدي " . وقرئ : لا يهدي بفتح الهاء وكسرهما مع تشديد الدال . والأصل : يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها . وقرئ : إلا أن يهدي من هداه وهداه للمبالغة . ومنه قولهم : تهدي . ومعناه أن ابدؤا وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي صبها لهم وبما لطف بهم ووقفهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا ؟ أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي إلى الحق مثل هداية ابدؤا . ثم قال : أفمن يهدي إلى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه ابدؤا وقيل : معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه " إلا أن يهدي " إلا أن ينقل أو لا يهتدي ولا يصح منه لاهتداء إلا أن ينقله ابدؤا من حاله إلى أن يجعله حيوانا مكلفا فيهديه " فما لكم كيف تحكمون " بالباطل حيث تزعمون أنهم أندادا .

" وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن ابدؤا عليم بما تفعلون " .

" وما يتبع أكثرهم " في قرارهم بابدؤا " إلا ظنا " لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم " إن الظن " في معرفة ابدؤا " لا يغني من الحق " وهو العلم " شيئا " وقيل : وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام أنها آلهة وأنها شفعاء عند ابدؤا إلا الظن . والمراد بالأكثر : الجميع " إن ابدؤا عليم " وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء . وقرئ : " تفعلون " بالتاء .

" وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون ابدؤا ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون أفتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا ما استطعتم من دون ابدؤا إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به

وربك أعلم بالمفسدين "